أولا:التعريف بالإمام الدارمي:ولد الإمام الحافظ أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام التميمي الدارمي السمرقندي سنة إحدى وثمانين ومائة من الهجرة، وكانت ولادته ونشأته بسمرقند، واشتهر بالدارمي نسبة إلى بني دَارِم بن مالك بن حنظلة بن زيد مناة بن تميم،.طوَّف الإمام الدارمي الأقاليم وجاب كثيرا من الأقطار طلبا للعلم، فزار خراسان وزار العراق ، وذهب إلى مصر ، ورحل إلى الحجاز والشام.قال الإمام أبو بكر الخطيب:"كان أحد الرحّالين في الحديث،والموصوفين بحفظه وجمعه والإتقان له،مع الثقة والصدق، والورع والزهد، واستُقضي على سمرقند فأبى، فألحّ السلطان عليه حتى يقلّده، وقضى قضية واحدة، ثم استعفى فأعفي، وكان على غاية العقل، ونهاية الفضل، يضرب به المثل في الديانة والحلم والرزانة، والاجتهاد والعبادة والزهادة والتقلل".

توفي الإمام عبد الله الدارمي في الثامن من ذي الحجة سنة خمس وخمسين ومائتين من الهجرة النبوية الشريفة –يوم التروية– بعد العصر، ودفن يوم عرفة، وله من العمر خمسا وسبعين سنة، وصلى عليه أحمد بن يحيى بن أسد بن سليمان، ولما وصل كتاب نعيه إلى الإمام البخاري نكس رأسه ثم رفع واسترجع، وجعلت تسيل دموعه على خديه، رحمه الله رحمة واسعة.

ثانيا:شيوخه وتلاميذه:سمع من: يزيد بن هارون ويعلى بن عبيد وجعفر بن عون وبشر بن عمر الزهراني، وأبي علي عبيد الله بن عبد المجيد الحنفي ومحمد بن بكر البرساني ووهب بن جرير، والنضر بن شميل –وهو أقدمهم موتاً–، وأبي النضر هاشم بن القاسم وعثمان بن عمر بن فارس وسعيد بن عامر الضبعي والأسود بن عامر، وأحمد بن إسحاق الحضرمي، وأبي عاصم وعبيد الله بن موسى وأبي المغيرة الخولاني وغيرهم.وروى عنه جمع من الأئمة الكبار كالإمام مسلم وأبي داود والترمذي وعبد بن حميد –وهو أقدَم منه–، ورجاء بن مرجى والحسن بن الصباح البزار ومحمد بن بشار بندار ومحمد بن يحيى –وهم أكبرُ منه–، وبقي بن مخلد وأبو زرعة وأبو حاتم وصالح بن محمد جزرة، وإبراهيم بن أبي طالب وجعفر بن أحمد بن فارس وجعفر الفريابي، وعبد الله بن أحمد وعمر بن محمد بن بجير ومحمد بن النضر الجارودي، وعيسى بن عمر السمرقندي وغيرهم.

ثالثا:مناقبه وثناء الأئمة عليه:كان إماما عالما حافظا متقنا ورعا، قال عنه أبو حاتم بن حبان: "كان الدارمي من الحفاظ المتقنين، وأهل الورع في الدين ممن حفظ وجمع، وتفقّه وصنف وحدث، وأظهر السنة ببلده ودعا إليها، وذبّ عن حريمها، وقمع من خالفها"، وقال عنه الإمام الذهبي: "قد كان الدارميّ ركناً من أركان الدين".وقال محمد بن إبراهيم الشيرازي: "كان عبد الله على غاية من العقل والديانة من يضرب به المثل في الحلم والدراية والحفظ والعبادة والزهادة، أظهر علم الحديث والآثار بسمرقند، وذب عنها الكذب، وكان مفسرا كاملا، وفقيها عالما"، وعن رجاء بن مرجى قال: "ما رأيت أحداً أعلم بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم منه"

رابعا:تسمية الكتاب:لقد اصطلح علماء الحديث على تسمية كتاب الرواية الذي يجمع حديث كلّ صحابيّ على حدة مسنداً.

إلا أنّ كتاب «السنن» لأبي محمد عبدالله بن عبدالرحمن الدارميّ رغم أنّه مؤلّف على الأبواب فقد اشتهر بالمسند على غير اصطلاح المحدّثين، حتى أنّ أبا عمرو ابن الصلاح عدّه بين كتب المسانيد؛ أوْقَعَهُ في هذا اشتهاره عند العلماء باسم مسند الدارميّ.

ولعلّه سمّي مسنداً لأنّ أحاديثه مسندة متّصلة على غرار تسمية البخاريّ كتابه بالجامع الصحيح المسند المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه.قال السيوطي في التدريب: و«مسند» الدَّارمي ليسَ بمسند, بل هو مُرتب على الأبواب, وقد سمَّاه بعضهم بالصَّحيح.قال شيخ الإسلام: ولم أرَ لمغلطاي سلفًا في تسمية الدَّارمي «صحيحًا» إلاَّ قوله أنَّه رآه بخط المنذري, وكذا قال العلائي.وقال شيخ الإسْلام: ليسَ دُون «السُّنن» في الرُّتبة, بل لو ضُمَّ إلى الخمسة لكان أولى من ابن ماجه, فإنَّه أمثل منه بكثير.

وقال العِرَاقيُّ: اشتهر تسميته بالمسند, كما سمَّى البُخَاري كتابه بالمسند, لكون أحاديثه مسندة.قال: إلاَّ أنَّ فيه المرسل, والمعضل, والمنقطع, والمقطُوع كثيرًا, على أنَّهم ذكروا في ترجمة الدَّارمي أنَّ له «الجامع» و«المسند» و«التفسير» وغير ذلك, فلعلَّ الموجود الآن هو «الجامع» و«المسند» فُقِدَ.وقد أثبت محقق الكتاب حسين سليم أسد اسمه «مسند الدَّارمي» حيث قال: ومما تقدم نخلص ونحن مطمئنون إلى أن (مسند الدارمي) و (سنن الدارمي) و (الجامع) أيضاً كتاب واحد, وأن التسمية الموجودة على غلاف مصوّرتنا التي هي أمّ عملنا (مسند الدارمي) هي التسمية الموجودة التي أطلقها الدارمي على كتابه هذا, وهي التسمية الأكثر شيوعاً على ألسنة الناس, وفي كتاباتهم أيضاً عندما يذكرونه محيلين عليه أو ناقلين منه)).وأثبت محققه الآخر: نبيل الغمري الاسم على غلافه هكذا: «المسند الجامع»

خامسا:عدد أحاديثه:قال محقق الكتاب نبيل الغمري: هذا وقد جاء في إحدى صفحات نسخة كوبريلي الأخيرة ما نصّه: ((عدد الأحاديث ثلاثة آلاف وخمسمائة وخمسون حديثاً, وللأبواب ألف وأربعمائة وثمانية أبواب. كذا وجدت العدد بالأصل اهـ كذا جاء فيها, وعدد الأحاديث والآثار أكثر من هذا حسب ترقيمي اهـ.قلت: وقد جاء عدد الأحاديث حسب ترقيم الغمراوي (3775), وحسب نسخة حسين أسد (3546), وحسب نسخة فواز زمرلي (3503).

سادسا:منهج الإمام الدارمي في سننه:

الإمام الدارمي أحد أعلام المحدثين الكبار, وهو أعلى طبقة من أصحاب الكتب الستة عدا البخاري فإنه معاصر له, ولم يكن شيء من تلك الكتب معروفاً حينئذ إلا أن يكون البخاري قد سبقه إلى تصنيف الصحيح, فصرف همّته لجمع كتاب مسند مبوّب يقرّب فيه السنن بين يدي الأمة وخاصة أن بلده سمرقند كانت البدعة فيها مألوفة, والسنن غير معروفة, فعمل الدارمي على نشر علوم السنة فيها وتبصرة الناس فيها.وأراد جمع المسند من الأحاديث المرفوعة إلى النبي مع غيرها من الموقوفات والمقطوعات مرتباً على الأبواب الفقهية, وأما المرفوع فهو أكثر أحاديث الكتاب, وعليه يعتمد في أكثر أبواب الأحكام, وربما أسهب وأطال بذكر بعض أبواب الأحكام كالطهارة والفرائض, كما أكثر من ذلك في المقدمة وفضائل القرآن...وفي ثنايا الكتاب,وفي أعقاب بعض الأحاديث يذكر الشيء من اختياراته في الفقه, كما أنه ربما شرح لفظاً غريباً وبيّن معنىً, أو ذكر علّة حديث, وهذا قليل.

وعن تبويب الكتاب:فهو حسن الترتيب اعتنى بتبويبه أحسن عناية وأتى بها ظاهرة ليس فيها تكلف. فبدأه بذكر أمر الناس قبل بعث النبي , ومبعثه وشمائله ومناقبه, ثم اتباع سنته وهديه والحذر من البدع في الدين والرأي والكلام المشين, وبيّن ضرورة الاحتراز عن الفتيا بغير علم, وبيّن منزلة الإخلاص, فكأنه مهّد بذلك للدخول إلى أبواب العبادات بعد تجرّد وإخلاص, فشرع بعد ذلك في أبواب

العبادات مرتبة على كتب شاملة جامعة, ثم يفرّع عليها بالأبواب مسلسلة متناسبة مع حاجة المكلف, ويترجم بالباب بترجمة ظاهرة الدلالة على المقصود بألفاظ الحديث أو بعضه.

وأما عن معلقاته: فتكاد تكون غير موجودة؛ لأنه لا يحتاج إلى تعليق الأحاديث, وكأنه أشبه المختصر في السنن.

وكذلك قلّ **التكرار** في كتابه إلا لمتابعة في السند أو زيادة في المتن.

ولم يعهد في كتاب الدارمي **تقطيع** الحديث بذكر بعضه وإيراد البعض الآخر في باب غيره.

وأما عن **ثلاثياته** فيقول محققه نبيل الغمري:((وأما الثلاثيات, وهي أعلى ما في كتاب الدارمي, وجملتها على الصواب: خمسة عشر حديثاً...)).

يقول الحافظ ابن حجر عنه: وأما كتاب (السنن) المسمى: (بمسند الدرامي)؛ فإنه ليس دون (السنن) في المرتبة بل لو ضمَّ إلى الخمسة لكان أولى من ابن ماجة؛ فإنه أمثل منه بكثير.

وقال الكتاني في الرسالة المستطرفة: وقال قوم من الحفاظ منهم (ابن الصلاح) و (النووي) و (صلاح الدين العلائي) و (الحافظ ابن حجر) : لو جعل (مسند الدارمي) سادسا كان أولى.

وقال الذهبي عن مسنده: صاحب المسند العالي الذي في طبقة منتخب مسند عبد بن حميد.

وقال الشيخ وليّ الله الدهلوي ت (1176) في (المسوّى شرح الموطا):

((علماً منّي بأن مسند الدارمي إنما صنِّف لإسناد أحاديث الموطأ, وفيه الكفاية لمن اكتفى)).

سابعا:شروحه والأعمال عليه:لم يحظ مسند الدارمي كغيره من بقية كتب الحديث بالعناية والشرح مع أن الذهبي وصفه بكونه مسند عالٍ, إلا أنه لم يوجد من شرحه من المتقدمين أو من المتأخرين إلا شرحاً وتخريجاً لأحد المعاصرين وهو عاصم الغمري وسمّاه فتح المنان شرح وتحقيق كتاب الدارمي أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن. في عشرة مجلدات.

وألحقه بمجلد ضمّ أربعة رسائل سمّاه: إتمام الاهتمام بمسند أبي محمد بن بهرام.

الرسالة الأولى: إتحاف الأشراف بما في مسند الدارمي من الأطراف.

الرسالة الثانية: اللآلئ المرصوعة بما انفرد به الدارمي من الأحاديث المرفوعة.

الرسالة الثالثة: الحطة برجال الدارمي خارج الكتب الستة.

الرسالة الرابعة: الدرر الغوالي بما في المسند من العوالي.

والكتاب صدر عن دار قرطبة.

وقد ضمنه الحافظ ابن حجر ضمن كتابه «اتحاف المهرة».

ثامنا:أشهر طبعات المسند:طبع الكتاب عدة طبعات:

1 – طبعة على الحجر في كوانبور سنة 1293هـ، ثم في حيدر آباد سنة 1309هـ، ثم في دهلي 1337هـ على هامش المنتقى للمجد، وكلها بدون تحقيق.

2 – طبعة بتحقيق محمد أحمد دهمان، صدرت عن دار إحياء السنة النبوية بالقاهرة، سنة 1346هـ.

3 – طبعة بتخريج وتعليق وتحقيق عبد الله هاشم يماني المدني، صدرت عن دار إحياء السنة النبوية بالقاهرة، تصويرًا عن طبعة صادرة بفيصل آباد سنة 1404هـ.

4 – طبعة بتحقيق فوّاز أحمد زمرلي، وخالد السبع، صدرت عن دار الكتاب العربي ببيروت، سنة 1407هـ.

5 – طبعة بتحقيق وشرح وتعليق مصطفى ديب البغا، صدرت عن دار القلم بدمشق، سنة 1412هـ.

6 – طبعة بتحقيق حسين سليم أسد، وصدر دار المغني بالرياض، ودار ابن حزم ببيروت، سنة 1421هـ

7 – طبعة بتحقيق أبي عاصم نبيل بن هاشم الغمري, سماه: فتح المنان شرح وتحقيق كتاب الدارمي أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن, عن دار البشائر والدار المكيّة.